البنـــاء
السنة السابعة / الاثنين / 21 آذار 2016 / العدد 2035
Seventh year / Monday / 21 March 2016 / Issue No. 2035

يعتبر أنّ الطفل فنّان كبير يحوّل الكبار لعبة حقيقية

علي عزّت لـ«البناء»: القارئ هو مَنْ ينصف الإبداع من الابتذال لا الزمن

حاورته: نسرين كمال

محرّر ثقافيّ في مجلة «كلاويز»، وعضو إعلامي في المهرجان الثقافي السنوي الذي تنظّمه «كلاويز»، إنّه الكاتب والمسرحيّ علي عزّت، ذو الجعبة الغنية بالمسرحيات عن الطفل والمرأة. حائز على ثلاث جوائز من منظمات محلية وعالمية، وله مساهمات في الكتابة شعراً ونقداً.

«البناء» التقت الكاتب علي عزّت، وكان هذا الحوار الشيّق الذي يتناول جوانب عدّة من تجربته الثقافية والإبداعية.

● أنت شاعر، ممثل ومخرج مسرحي، كيف تصف علاقتك بهذه الفنون، ومتى تكون على تماسّ مع ذاتك أكثر؟

- لا أستطيع أن أعرّف نفسي بتلك الألقاب، فأنا أمارس تلك الفنون لأجل متعتي فقط. أحلل وأقرأ وأكتب، لكن هذا لا يعني أن أكون ناقداً، لأنّ الكتابة في النقد لها أساليبها ومدارسها ومتعتها الخاصة. قبل كتابتي أيّ نصّ أكون قد مارسته سلوكيا، وعند التدوين نلغي كلّ مفهوم السيرة كي لا يكون النصّ خادماً أو عبداً. فأنا أكتب لقارئ حرّ- حرّيته كفيلة لمعرفة القضايا الكبرى- وما ينزل علينا من النصوص كتابات إذا ما أفرغتها من القضايا الكبرى فلن تعود نصوصاً. وحده الكاتب الحرّ له القدرة في إلزام القضية بنصّه لأنه خلق آخر، وبهذا المعنى سيكون من المؤكد من أنني أزاول مسودّات كتاباتي بممارستها، أقتلها فتحييني. بين يديّ قارئ حرّ نصّاً مخلوقاً جديداً فليس من المنصف أن أضع مبادئي وتجاربي على رف تزييني لصمدها كما أيّ نص تحت غبار. أما المسرح فهو انتشالي من اليومي الذي يتلصّص على ما سأرتكبه من أخطاء في الحياة.

● لقد ألّفت المسرحيات للأطفال اللاجئين وإخراجها وتنفيذها في ظروف ليست بالمؤاتية. حدّثنا عن تلك التجربة وأثرها في مسيرتك، وعلى جمهورك «الخاص جدّاً».

- بدأت مع طفل في مخيّمات جنوب «كردستان العراق». جميع أطفال المخيّم كانوا ممثلين وفنانين. فلمجرّد دخولي إلى المخيم، يتحوّل المكان إلى مسرح كبير، وتصير نصوص المسرحية مثل الأناشيد والأغاني، يردّدها الأطفال بصوت عال أمام أبواب المنظمات والجهات المعنية، ويتبادلون الأدوار من تلقاء أنفسهم، ولا يتردّدون في استعارة الديكور من مكاتب المنظمات. «ليصنعوا مسرحاً ميدانياً». لم أستطع أن ألقّن الطفل دور الممثل. تركته يكسر ويحطم يزخرف ويبني كما الحرب لدرجة أنني لم أكن قادراً على عنونة المسرحيات، لتستريح النصوص أرقاماً كما اللاجئين في المخيّمات، تركتها للأرقام (00963). فالنصوص في مخيّمات اللجوء لاجئة. نصوصي المسرحية هذه -والتي لم تكن تحمل اسماً لكاتب ولا رقماً لإصدار ولا شعاراً (لوغو) خاصاً بأيّ دار نشر- كانت تتكاثر وتوزّع في المخيّم حتى تصل في بعض الأوقات إلى أكثر من 300 نسخة. الأطفال كما الأحلام لا يستأذنون الحبّ. الطفل فنان كبير يحوّل الكبار إلى لعبة حقيقية كأن يسألك أحدهم لماذا أكون طفلاً ما دمت أقوم بدور الممثل يا أستاذ؟

● تغصّ جرائدنا اليوم باللغو الذي يتّسم بالأناقة الخارجية، والفراغ من حيث المضمون شعراً ونقداً. ما تعليلك لهذا التدفق المقلق؟ وإذا كان الزمن كفيلاً بتصفية الإبداع الحقيقي، أفلا يجدر بنا الدفاع عن الحسّ النقديّ الأصيل في وجه ما هو محض ادّعاء؟

- كما تقولين، هي لغة جرائد سريعة وخفيفة وبسيطة. كما أنّني أعتقد أنّ القارئ من ينصف الإبداع من الابتذال لا الزمن. النصّ المبدع والكاتب الناضج

هما اللذان يمسكان بتلابيب الزمن ابتداءً من بناء اللحظة. وهذا البناء قد يتطلّب حضور كلّ الأزمان مجتمعة. هناك نصوص تفرض نفسها وأخرى تفرض كاتبها، والنصّ الأجدر بالخلق هو النصّ الأجدر بالحياة والبقاء. بالتوازي مع هذا الخلق يجب أن يسير النقد أيضاً. اليوم تتجرّر الكتابة من أساطيرها ويلجم النقد، لا بل يمنع استدراكه ويتحوّل إلى ملقّن أخلاقي وديني. بغياب النقد ستتكاثر النصوص الفطرية الحسّية صادقة الطابع وستحارب في الميدان، وتحرّر المرأة، وتنال الجوائز لأنها تحارب «داعش» وأخواته، لكنها ليست نصوصاً معنية بالخلق والإبداع. هي تقاير صادقة وحسّية موثّقة بالقلم. نستطيع أن نتلمس غياب النقد من خلال غياب الفكاهة والأدب الساخر. كيف نفسّر تحوّل الكاريكاتير إلى خطاب أيديولوجي تقريريّ واضح ووصفات سياسية تركّب في مطابخ الاستهلاك اللحظي من دون أن توسّس لتراكم إبداعي ومعرفي؟

● هل نستطيع أن نكتب أدباً حديثاً في حين أننا لم نصنع حداثتنا بعد؟

- أفضل ردّ على هذا السؤال كانت دموع المفكّر المعلّم الطيب تيزيني. فلقد فقدنا القاع والسقف، ولسنا معلّقين أيضاً. إننا ننتظر كيف يمكن لجاذبيتنا أن تتفاعل مع هذا الفضاء سواء كنّا عناصر مادية أو حسّية. من الصعب إخضاع الحداثة لمقياس واحد. هي مفهوم شامل يرتبط بحقول معرفية عدّة وبعضهم يعرفها على أنها تشير إلى سيرورة الأشياء أو إلى طفرة ما بين القديم والتقليدي. وكل تجاربنا النصّية التي تستشرف واقعاً راهناً لا بدّ لها أن ترتكب حداثتها بطريقة ما.

● متى يدهشك نصّ ما؟ وما هي الشعرية بالنسبة إليك؟

- القصيدة التي تعترف بجهلك ستجعلك تدهش، لأنها تشكّل سؤالاً لا يمكن تصديقه. أمّا محبّو الرعشة الشعرية فهم مستعدّون مسبقاً لتقديس أيّ نصّ أو آية. كما ينبغي علينا أن نعترف اليوم بأنّ الشعر سهل، ولكن تصديق هذه السهولة سيكون كفراً بوّاحاً، لأننا ببساطة سنفقد إيماننا بعالم التدوين والكتابة وربما التاريخ. تجاربنا اليوم برهان على وجود الشعر وأصالته، ولذلك يجب علينا ألا نتوقّف عن تقديم البراهين.

● ما هي خياناتك الأشدّ وفاءً؟

- بصراحة، لا أعرف متى أكون خائناً أو وفيّاً. وإذا كان لا بدّ من إجابة، فأستطيع القول حينئذٍ إن كأساً من العرق البلدي هي الأشدّ وفاءً في عصر الخيانات الواعية.

«ألق الصمود»... تأريخ لملحمة 51 يوماً من المقاومة والصمود والانتصار

حسن حردان

«ألق الصمود، وقلق المبادرات»، كتاب للكاتب رامز مصطفى يؤرّخ لملحمة المقاومة والصمود الفلسطيني على مدى 51 يوماً في مواجهة أشرس عدوان صهيونيّ تعرّض له قطاع غزّة المحاصر، ويُظهر بالوقائع كيف صُنع النصر العسكري في ميدان المواجهة، والقتال اليومي بين المقاومين الذين سطّروا ملاحم من البطولة، وبين جنود العدوّ الذين عاشوا أياماً صعبة خوفاً ورعباً من الوقوع في أسْر المقاومين أو مواجهة الموت، وكيف صُنعت الوحدة الوطنية الفلسطينية خلف المقاومة في الميدان، وفي المفاوضات غير المباشرة التي خاضها الوفد الفلسطيني الموحّد، الذي تمكّن من انتزاع اتفاق برعاية مصرية حقق نصراً سياسياً جاء ترجمة للانتصار العسكري وفشل أهداف العدوان. وتجلّت مشاهد الانتصار بأبهى صورها باحتفالات الشعب الفلسطيني في قطاع غزّة بالنصر الثمين الذي حققته المقاومة، على الجيش الصهيوني الذي حاول من دون جدوى ترميم قوّته واستعادة قدرته الردعية في مواجهة المقاومة، بعد أن تحطّمت على أيدي رجال المقاومة في جنوب لبنان خلال عدوان تمّوز عام 2006، وخلال الاعتداءات الصهيونية على قطاع غزّة.

وفي مقابل مشاهد الفرح والاحتفال بالنصر في غزّة، كانت على ضفة العدو صور تفجّر الخلافات داخل الحكومة الصهيونية والخيبة والمرارة وسط المستوطنين الذين أقرّوا بغالبيتهم أنّ «إسرائيل» لم تنتصر في الحرب. في حين اعترف المحللون الصهاينة بتصدّع الفقاعة الأمنية «الإسرائيلية» التي بيّنت بعد توقف الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وانتهاء زمن الردع «الإسرائيلي»، وأنّ «إسرائيل» أصبحت قوة مرتدعة تواجه آلام التقلّص كباقي الامبراطوريات السابقة.

ومن يدقّق في نتائج هذه الملحمة من الصمود والمقاومة يلاحظ بوضوح أنّ المقاومة نجحت في إلحاق خسائر جسيمة في صفوف جيش الاحتلال والاقتصاد «الإسرائيلي»، وتمكّنت من شلّ السياحة في الكيان الصهيوني طوال أيام الحرب. ويلاحظ كيف أنها كرّست هزيمة الجيش «الإسرائيلي» وعدم قدرته على تحقيق النصر في الحرب في مواجهة المقاومة، وبالتالي انتهاء الزمن الذي كان قادراً فيه على فرض قواعد اللعبة والتحكّم بمسار الحرب، ونهاياتها. كما يلاحظ كيف أدّت نتائج الحرب إلى إحداث انقلاب وزلزال في مشهد الصراع، لا سيما أنّ نجاح المقاومة في فرض معادلة ردعية مع العدو وتغيير قواعد الصراع لمصلحتها، على رغم المساحة المحدودة لقطاع غزّة وطبيعته الجغرافية المنبسطة، والحصار الذي يعاني منه منذ سنوات، شكّل التطوّر الأبرز المتولد من انتصار المقاومة.

بعد هذه الهزيمة، دخلت «إسرائيل» مرحلة عدم الوضوح الخطير بحسب التوصيف «الإسرائيلي» في ظلّ مرحلة جديدة بدأت فيها المقاومة في غزّة عقب اتفاق وقف النار، العودة إلى تجديد عملية حفر الأنفاق وإنتاج الصواريخ التي شلّت العمق الصهيوني، لا سيما «تل أبيب» ومطار «بن غوريون» ومدينة «ديمونا» وغيرها من المراكز الحسّاسة والحيوية في كيان العدو. والعمل على تطوير هذه الصواريخ التي باتت إلى جانب الأنفاق وجاهزية المقاومين العامل الأساس الذي يردع العدو ويجعله يتردّد في الإقدام على استسهال معاودة استئناف العدوان على القطاع، والبحث عن سبل للتهدئة عبر تقديم عروض سياسية للوصول إلى هدنة طويلة، الأمر الذي حذّر منه الكاتب رامز مصطفى ونبّه من خطورة الوقوع في هذا الفخّ «الإسرائيلي»، لأنّ العدو يسعى من وراء ذلك إلى ابتزاز قطاع غزّة عبر سياسة العصا والجزرة.

على أنّ ملحمة المقاومة والصمود والانتصار أماطت اللثام عن دور الدولة الوطنية السورية المقاومة في تزويد المقاومة الفلسطينية بالصواريخ وتقنية تصنيع هذه الصواريخ، كما كان لها الدور الهامّ في إسناد المقاومة ودعمها في حرب تموز 2006، الأمر الذي يفسّر لنا لماذا جرى شنّ الحرب الإرهابية التكفيرية ضدّ سورية بدعم أميركي - «إسرائيلي» - سعودي - تركي بالدرجة الأولى.

لكن الكتاب «ألق الصمود» أرّخ أيضاً بعجالة لحقبة هامة من تاريخ مقاومة الاحتلال الصهيوني انطلاقاً من قطاع غزّة في مرحلة قيادة جمال عبد الناصر الحرب ضدّ حلف بغداد والرجعية العربية والنهوض القومي التحرّري في مواجهة الاستعمار الغربي وأداوته، كما عرض لمرحلة الانتفاضة الأولى عام 1987، وتوقيع اتفاق أوسلو المشؤوم وما تلاه من انتفاضة ثانية عام 2000، ومقاومة مسلحة أجبرت العدوّ على الرحيل عن قطاع غزّة وتفكيك مستوطناته، واستمرار الحصار على القطاع، مروراً بالاعتداءات الصهيونية التي تعرّضت لها غزة في 2008/2009 وفي 2012، وصولاً إلى العدوان الأخير عام 2014.

ويبقى أنّ الهاجس الذي لا يزال يسيطر على قادة العدو الصهيوني، كيف يمكنهم استعادة قوتهم الردعية بعد الهزائم المتكرّرة للجيش «الإسرائيلي» أمام المقاومة في لبنان وغزّة، وأمام العجز هذه الأيام حماية، أمن الكيان من هجمات أبطال الانتفاضة الفلسطينية الثالثة، على رغم أنهم لا يملكون سوى سلاح السكين والدهس بالسيارات.

«بطن الحوت»... تعيش اضطراباً مفتعلاً بين الحكاية وهاجس الحسّ الفنّي!

النمسا - طلال مرتضى

للحكاية أكثر من وجه، والولوج إلى مضمر الحيثيات يحتاج إلى عبور آمن ليس للاجتهاد الفطري أدنى سبب كي يجعل من المصادفة أمراً محقّقاً للقبض على خيط رفيع في طرفه الآخر النصف الثاني والمغيّب من المعادلة. نظرياً، تبدو الحكاية مخاتلة الأوجه، وفي ما يسقطه العوام نقول «الفهلوة». عملياً، الحبكات كثيرة الخيوط قد تؤدّي في لحظة ما إلى إرباك النوال أولاً، وقد تبدو كمغامرة تستدعي التوقف في بعض مفاصلها. في المروية الجديدة «بطن الحوت» التي وقّعتها اللبنانية الأديبة صونيا صالح عامر، والصادرة عن مؤسّسة «الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع» البيروتية، ثمة خيوط كثيرة ضائعة، لربما عن قصد. وهذا ما أدحض تماماً، لأن الكاتبة التي اجترعت هذا المعمار اللغوي الرصين، من الجمل القصيرة والتي تنهال مثل كثيب رمل تذروه الريح، عبر ذائقة القارئ العليم الذي عانى كثيراً أثناء مسير القراءة من تبعيات السباق بين التلذذ بالمعاني والجمل - الذائقة - وبين العين الراصدة لذبذبات - الصياد - السلك الحسي الذي تشكل لا إرادياً كحبل سرّي بين اللهج لصيد الفكرة وبين التذوّق لمفرزها. في ما ابتدعته الكاتبة كحامل للمروية - القصة أو الحكاية - والذي نحى بدلالاته المؤطرة داخل سلطة الغلاف صوب ما يطلق عليه مجازاً «التخيّل» كفعالية تعبيرية، عمادها الخيال، نهج لتوظيف الخيال في نسيج العمل الأدبي، وذلك عندما تم انتقاء ألف شخص مناصفة ما بين ذكر وأنثى، وجلّهم من الأزواج، للقيام برحلة غير معلومة النهاية، داخل بطن حوت صمّم للغاية، إذ إنّ المسافرين قبلوا التنازل عن كل شيء في حياتهم العادية، لأن الرحلة المأمولة لا تخضع لسلطة الموت ولا لسلطة كبّر السن ولا المرض

ولا النوم، وشرطها الوحيد أن يتنازل المسافر عن شخصيته الحقيقية بشخصية أخرى، لا تمكّن الزوج من معرفة زوجته والعكس تماما. وهذا ما يجعل الرحلة ماتعة بحيث يستطيع أيّ مسافر أن يتفق مع مسافرة على التعيين ليعيشا حياتهما الجديدة من دون أيّ منغصات. وهنا لا بدّ من دفع فاتورة أخرى ألا وهي في حال تعرّف أحدهم إلى شخص ما بشخصيته الحقيقية، وهذا يشي بفشل الشخص الذي لم يعرف المحافظة على سرّه، فيكون عقابه أن يرمى في البحر كطعام لأسماك القرش.

من خلال افتعال سرديّ شائق، وهو أشبه باستبيان على بعض شخصيات ممن قرّروا الاشتراك برحلة الخلود، نمسك بعض الخيوط التي تشي بأنهم ينتمون إلى طبقة راقية، جعلت منهم سلطة المال أناساً يعانون الكثير من أمراض العصر، كالخيانات الزوجية وتعاطي المخدّرات وغير ذلك، ما جعل حياتهم خواء. وهذا سبب رئيس بدفعهم نحو تلك المغامرة. ثمّ تدخلنا الكاتبة إلى صلب سرديتها لنعيش بعضاً من أحداث الرحلة بتناقضاتها والحياة البهيمية في الداخل والتي بدأت بالمتعة لتنتهي بالضجر والوجع، حيث يتعرّف مسافر إلى زوجته التي يحبّها، من خلال رائحة ما يفرزها جلدها وهي تمارس الجنس مع آخر، ليعيش صراعاً قاتلاً وهو لو قال إنها زوجته سوف تكون طعام للقرش، وإن صمت فهي طامة أكبر. إلى أن يبدأ التململ بعد أن يكتشف أن إحدى المسافرات حبلى وقد تعرّضت لاغتصاب، وهذا ما حتّم التخلص من الجنين لتدخل المرأة في غيبوبة ثم تموت. وهنا الانهيار الذي بدأ على خطين، الأول هو التفكير بإنهاء هذه الرحلة ووضع حد لها، في ما بين المسافرين والذين قرروا القيام بانتحار جماعي. والخط الثاني بين الكاتبة وقارئها وهي أنها قد وضعت للأخير الكثير من المغريات لاستكمال القراءة، مثل اللاموت واللامرض وغير ذلك، ما يستدعي المتابعة للامساك بالخواتيم والتي لم تأت متناغمة مع المطالع، حيث يتلمس القارئ لهاث الكاتبة للوصول إلى النهاية بأسلوبية «الأكشنة» وكأننا في حضرة فيلم أميركي ليس إلا. وذلك لأنه عاش - أي القارئ - لفترة سردية شيّقة، بحالة تخديرية مكينة لعبتها الكاتبة، عندما سلّمته جزءاً ما منها لتترك له الخيار مجبراً بالركض لالتقاط النصف الآخر من القصة. وبحسب زعمها بالقول إنّ لكل قصة نصفاً آخر، هو النصف الصحيح، وهو الذي لا نعرفه، ولكن هناك من نصادفهم في حياتنا على استعداد لسماع النصف الآخر للقصة بأذن صاغية وحسب. والذي انكشف في النهاية، أن رحلة الخلود ليست سوى خدعة مدروسة، هدفها الاستيلاء على ممتلكات هؤلاء الأغنياء، خطّط لها مهندس بارع. القارئ العليم والمتتبّع خطوط المروية يتلمس في ما تناولت الكاتبة - أي الطريقة والكيفية - وعبر معمارها البنائي للنصّ - أي الشكل الكلّي - كانت تسعى بكلّ طاقتها إلى ضخّ نصّها بحسّ فنّي عال - أي استخدام تقانات الصورة والخيال، بشكل لا يفارق مدى قدرة مفارقة الواقع، وجعله فنياً وكيف يحمله على الفنّ - ولا أستغرب يوماً أن أرى «بطن الحوت» فيلماً سينمائياً.

إلى الرفيقة القدوة والأمّ الفاضلة والدة الشهيد أدونيس نصر

■ **زهرة حمود***

في عيد الأم، أعايدك أيتها الأمّ النموذج (أمّ ادونيس)، يا وقفة العزّ والبطولة، يا أحلى الأمهات، صبراً وعزماً وإرادة، وإيماناً بقضية تساوي الوجود.

أعيادك كتابة، وقد منعتني ظروف صحية قاهرة من الحضور إلى جانبك، في يوم وداع أدونيس الذي استحال عرساً يليق بشهادته.

أكتب لك، ولا أعرف هل أنّني أكتب لأقدّم تعزية بفقدان فلذة كبدك، أو تهنئة لأنك أصبحت أمّ الشهيد البطل، أو لعلّي أحاول أن أحدّثك عن صاحب الحضور البهيّ الذي تعوّد أن يملأ المركز صخباً، حتى بصمته، وابتساماته على من يلقاه مُحباً تحبباً.

كان على عجلة من أمره دوماً، وكلّما التقيته رجوته ألاّ يطيل الغياب، فترتسم على محيّاه ابتسامة عريضة ويقول «بأمرك». لكنّني على الدوام، كنتُ أخشى غيابه الأخير.

حدّثته مرة عن «أبي صنين» الذي يجايلني على ما أعتقد، وأخبرته عن نضاله، وقد خاض ما خاض من معارك، وانتصر على موت كان يرافقه كظله سنوات طوال، ابتسم وقال: لكلّ يومه الذي لا مفرّ منه.

حين أصبح أدونيس مسؤولاً إعلامياً في نسور الزوبعة، كان علينا أن نتابع معه أخبار الميدان والرفقاء الذين يرتقون شهداء، ومن موقعه في الميدان، كان يخطّ أسطراً تحمل أخباراً عن معركة هنا ونصرٍ هناك، عن جريح هنا وشهيد هناك.

وحين كنت أظهرُ حزناً على رفقاء ارتقوا شهداء، كان يقول لي: «الأرض ما زالت تستسقي دماءنا، والأمة تنادي من وعى حقيقة نهضتها، هي جنتنا التي من أجلها نحيا ونموت»، ثم يغلق الباب خلفه ويمضي باسماً، لقد كسر الحصار الذي طالما أتعبه، وهذا ما وجدته مكتوباً على صفحته بتاريخ 2014/7/11 «الشهيد يحاصرني كلّما عشت يوماً جديداً ويسألني: أين كنت؟».

بحثتُ في صفحته عن معايدة لك بمناسبة عيد الأمّ، فأدهشني هذا الذي جمع في شخصه الثقافة والمعرفة والتصوّف والإيمان والعلمنة والعقيدة والفرح والحزن والطفولة والعشق، عشق الأمة واللغة والتراث وعظمائه أدباء وشعراء ومبدعين.

هذا العاشق للشهادة الواقف في عين العاصفة يجمع الأسماء والكتب ويتماهى بمعلمه، معرفة وصراعاً، وقد تلقّن من أبي صنين ومنك أهمية وقفة العزّ وها هو يكتب في 17 تشرين الثاني 2014:

«إلى والدي أبو صنين:

تصيح، أقف ويمشي الضباب...

تقول لي: «سر».

يقف التراب وينفجر

معك أبي الرعب ينتحر،

وكيفما قلبت أشلاء الكلام يابساً أو يانعاً من فمك زوبعة.

مطرقة الربيع يدك.

شاهراً عينيك في لغتي.

نقف معاً خلف صخرة العقيدة.

وأنحني لنضالك وأشواك العيون تصير صفصافاً مدمعاً.

من أنا من دونك يا أبي؟

رفيقي أبو صنين: سأبقى أتبعك وأكتب باسمك أسماءنا حول البوارید/الجذوع.

كنت أعتقد أيتها السيدة العظيمة أن أدونيس سيبقى مهما طال به الزمن ابن أبي صنين. لم أعرف أنه سيختصر الحياة كلّها بوقفة العزّ، ليختصر تاريخ بطولة والده ووالدته بكلمة أهل الشهيد أدونيس.

أدونيس، الذي طالما خاطب دمشق وخطب ودّها، إنه السوري ابن كل الكيانات المتألمة، حيثما يممت وجهك ترين فيه فلسطين والشام، والعراق... وهو الذي خاطب سورية في العاشر من شباط شهر استشهاده بالقول: «سورية يا ضيّ العين». وصلّى في الشهر الأول من سنة استشهاده بالقول: «أبانا الذي في السموات، أعطنا ترابنا كفاف موتنا، فنحن لا مجد لنا بغير الجهاد، وهو ديننا، وأنت على كلّ شيء قدير».

وقبل أربعة أيام من استشهاده قال: «ليس المهم أن يموت أحدنا... المهم أن تستمروا». هو طالب للحياة ومنذ ولادته تهجأ على أيديكما أنت ورفيق دربك: أننا لا نهاب الموت متى كان طريقاً للحياة، وقرأ في كتاب سعاده، حتى أتقن كل كلمة تدعو إلى مجد الأمة، فرأى في قوله هذا أيقونة زيّن فيها إحدى صفحاته: «من حضن أمي إلى حضن أمتي رحلة انتماء وحنين». أنطون سعاده.

في عيد الأمّ لم يخاطبك ماضياً، بل خاطب أمّهات الشهداء، والآن وقد أصبحت والدة الشهيد، أعايدك بما كتب في عيد الأمّ، إذ قال: «تحية لكلّ أمّ شهيد في الحزب السوري القومي الاجتماعي والمقاومة وحماة الديار، يلي بهال24 ساعة رح تكون عم تقول بينها وبين حالها... بعايد حالي وبعايدك يا ابني بعيد الأمّ والطفل... والبقاء للأمة».

وفي سنة أخرى قال: «تحية لكلّ أمّ شهيد أعطت الحياة لابنها، ووهبها للوطن...». قد تجدين في بعض كلامه عزاء، وقد نجد نحن بمواقفه البطولية عزاء، هذا ما شاءه فله المجد وله العلو والخلود وطيب الذكرى، ولنا جميعاً ما نقل في 2014/12/22 عن الشاعر السويدي هاري مارتينسون هذا القول: «هم حين يموتونَ... لا يعاقبوننا بالموت معهم، هم يعاقبوننا بالحياة من دُونهم!». وهو واقع حالنا جميعاً.

*** ناموس الدائرة الإعلامية في الحزب السوري القومي الاجتماعي**